مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

العدد الحادي عشر مجلة اسلامية . ثقافية . تصدر سنويًا

1423 من ميلاد الرسول ﷺ الموافق 1994 ميلادية

رأي حول

البشارات بالرسول صلى الله عليه وسلم

في الكتب المقدسة عند غير المسلمين

الاستاذ الساعي علي حسين
كلية الدعوة الإسلامية

الفكرة والهدف:

تسعى رابطة العالم الإسلامي بمختلف هيئاتها إلى إيجاد وسائل جديدة لنشر الدعوة الإسلامية وتبليغ رسالة الله إلى خلقه في مختلف أرجاء المعمورة.

وحتى تكون الدعوة مواكبة للمستوى الفكري والعلمي الذي وصله الإنسان في هذا العصر، فقد أنشأت هيئة للاهتمام بإبراز الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة لمخاطبة كل إنسان وفقاً لاستعداده ومبلغه من العلم.

وقد أخذت هذه الهيئة على عاتقها البحث عن البشارات بالرسول محمد ﷺ الواردة في الكتب المقدسة عند غير المسلمين «إقامة للحجة على أهل الكتاب من واقع كتبهم على نبوته ﷺ، وإلزامهم بنصوصها مما يثبت إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في إخبارهما عن وجود النبي ﷺ مكتوباً

عندهم في التوراة والإنجيل.

وقد قام الأستاذ الكريم أحمد الصاوي الباحث بهذه الهيئة بإعداد الهيكلية العامة لهذا العمل الكبير، ووضع المسارات ومجالات البحث لمساعدة الباحثين على إيجاد منهج واحد أو متقارب للوصول إلى الحقيقة، تمهيداً لعقد (مؤتمر دولي يحاور العالم كله حول ميراث النبوة المدخر في كتب أصحاب الديانات).

ويضم هذا المؤتمر عدداً من علماء الأديان من غير المسلمين لمناقشة هذه البشارات، ويأمل المشروع أن يتناول العلماء من غير العرب ـ خاصة علماء الهند ـ ما اشتملت عليه كتب الهندوس من بشارات.

سعي مشكور:

نظراً لأهمية هذا العمل وخطورته، ولأنه يهم جميع المسلمين ولا يتعلق الأمر بالرابطة أو بعض هيئاتها فقط، فقد سعت هذه الهيئة مشكورة إلى إبلاغ أكبر عدد من الباحثين والمهتمين بالدعوة لدين الله بهذا المشروع وبوسائله وغاياته ليمدوا يد العون والمشورة، ويتحملوا مسؤليتهم في خدمة دين الله.

وقد قام الباحث بالاتصال الشخصي بعلماء في مصر والسودان وباكستان والهند، وتم توزيع نسخ من الكتاب الذي أعده على بعض المؤسسات في العالم الإسلامي للنظر فيه والمشاركة ـ ولو بكلمة طيبة ـ في هذا العمل الكبير، ولأنني قد اطلعت عليه فقد أصبحت مسؤلاً أمام الله سبحانه وتعالى على تنبيه القائمين على هذا العمل بما يبدو لي قصوراً قبل الوقوع في الخطأ لأن نتائج هذا المؤتمر ستنعكس على العالم الإسلامي كله إيجاباً أو سلباً.

ملحوظات الباحث:

تجب الإشارة ـ إنصافاً للباحث ـ إلى أنه أعد كتابه هذا وهو على علم مسبق بما سيثار ضده من اعتراضات، وسواء وافقه الناس أو خالفوه فلا يمكن وصف عمله بالقصور. وغاية ما يقال إنه اختلاف في الاجتهاد ووجهات النظر ونرجو له أجر المجتهد إن أخطأ.

ـ فالباحث أثبت النقاط التالية:

1 ـ (لقد حاول أهل الكتاب جهدهم ـ لما تبين لهم انتقال النبوة منهم إلى بني إسماعيل ـ أن يطمسوا معالم البشارات بالرسول ﷺ في كتبهم) ص 13 و (إن مسيرة التحريف لهذه الكتب تجري على قدم وساق كلما تنبه القوم إلى أمر لا يسير وفق هواهم سارعوا إلى حذفه)

2 ـ يرى الباحث (أن استخراج البشارة به ﷺ من كتب غير المسلمين أمر تكون الحجة به أكثر إلزاماً لهم، بغض النظر عن كون هذه الكتب قد حرفت، فالتحريف لم يشملها كلها، وإلا لما استشهد رسول الله بالتوراة ـ مع علمه بتحريفها ـ في واقعة زانية أهل الكتاب) ص 16.

ذلكم هو مجمل ما احتواه هذا الكتاب باختصار جد شديد. ونظراً لما للموضوع من أهمية أحببت أن أشير إلى ما دار بخاطري وأنا أقرأ هذا الكتاب مكتفياً بعينات مما استوقفني، لأن مناقشة كل نقطة على حدة تحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل.

وهذه الأمثلة القليلة تغني عن كثير، راجياً من الله التوفيق والهداية.

يجب أن نعلم:

أ ـ أن الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى تعرض للتحريف والتغيير لأسباب كثيرة منها ما أشار إليه الباحث في الفقرة السابقة رقم(1).

ومنها ما نشأ عن نسيان النص وتطاول الزمن عليه، وتعرض أتباعه إلى حرب لا هوادة فيها من أباطرة الوثنية.

وإن كنا سنتهم بالتعصب إذا استشهدنا بأقوال المسلمين في هذا الشأن فإننا سنكون أكثر التزاماً بالإنصاف إذا ما رجعنا إلى كتابات علمائهم.

فالدكتور: فرانك جيبلين يقول: ـ (.. فقد اشترك جملة كتاب في كتابته ـ الكتاب المقدس ـ وقد بلغ هؤلاء نحو 40 رجلاً بعضهم معروف لدينا، والبعض الآخر غير معروف. فمثلاً موسى، وداود، وسليمان، ويوحنا، وبطرس هم أشهر من نار على علم، بينما عوبديا، وملاخي وصفنيا، وحبقوق لا نعرف عنهم شيئاً).

ويقول: (. . .أما كتابته فقد استغرقت ما يقرب من 1500 سنة).

ويعترف هذا الكاتب بقوله: (. . وهناك من أسفار العهد القديم ما لا نعرف له كاتباً حقيقياً، وكل ما نقدر عليه هو أن نخمن اسم كاتب هذه الأسفار وهي: سفر القضاة وراعوت، واستير، وصموئيل الأول والثاني، والملوك الأول والثاني، وأخبار الأيام الأول والثاني)[1].

ويقول عريان بطرس: إن الذين اشتركوا في كتابته (كانوا مختلفين في الثقافة متباينين في الأعمال التي كانوا يمارسونها في البلاد التي عاشوا بها، وقد كانت كتابتهم تحت ظروف مختلفة متعددة من دينية وسياسية واجتماعية.

فمنهم الملك كداود وسليمان، وراعي الغنم كعاموس، والكاهن كزكريا، والنبي كصموئيل وأشعيا، والمتشرع كموسى، والقائد كيشوع، وصياد السمك كبطرس ويوحنا، والفيلسوف كبولس، والرسول والطبيب كلوقا، ومحصل الضرائب كمتى العشار) [2].

هذه الظروف التي اكتنفت توثيق نص الكتاب بقسميه القديم والجديد تجعلنا نحن المسلمين نفهم كيف حصل التحريف بقصد أو غير قصد.

إننا نجزم بأن الكتاب قد حرف ودخلته تصورات وثنية أشير إلى أمثلة منها:

1 ـ يصور كتاب التوراة الله سبحانه وتعالى مثيلاً للبشر له أبناء عشقوا بنات البشر فدخلوا بهن، ومن ذريتهم الجبابرة (أنظر سفر التكوين الإصحاح 6 الفقرات 1 ـ 5) ويخاطب أحد كتابه اليهود بقوله: و (أنتم أبناء للرب إلهكم) تثنية 14/ 1.

2 ـ وفي الأصحاح 12 من السفر نفسه الفقرات 12 وما بعدها حتى 24 يصور كتاب التوراة الباري جل شأنه جاهلاً لا يعرف بيت المصري من

---

(1) استكشاف كتاب الكتب تأليف الدكتور فرانك جيبلين، ترجمة عريان بطرس ص 8، 9 ط مطبعة النيل المسيحية بالمناخ بمصر سنة 1937 م.

(2) مقدمة المصدر السابق ص (ز) وما بعدها.

الإسرائيلي إلا إذا وجد علامة من الدم على عتبة الدار.

وتلك صفة أليق بالكلاب منها بصفات الله سبحانه وتعالى.

3 ـ وجاء في السفر نفسه الأصحاح 31 الفقرات 24 حتى 32 أن الله سبحانه وتعالى ظهر ليعقوب في البرية وتصارع معه، ولم يفلت من يد يعقوب إلا بعد أن ضربه على حق فخذه، لذلك لا يأكل اليهود عرق النسا!.

أيصح الاعتماد ـ في مسألة دينية ـ على كتاب يصف الله بهذا الجهل والعجز؟!.

ب ـ أعود لتوضيح ما أشار إليه الباحث في كتابه (ص 13 و 25) وهو تحريفهم لما له علاقة بإسماعيل وذريته.

والذي يلاحظه المتأمل هو أن كُتَّاب التوراة تناولوا موضوع إبراهيم عليه السلام وذريته منساقين بروح التعصب والغيرة التي تحكم العلاقة بين بني إسماعيل وبني إسحاق، وسجلوا بحماس قول سارة لإبراهيم: (اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن الجارية لا يرث مع ابني) [تكوين 21/9 ـ 11].

وهذا القرار الذي أملته الغيرة هو الذي جعل كُتَّاب التوراة يتلاعبون بمسألة أرض الميعاد، وهي بيت القصيد ومستمسك اليهود في كل العصور.

وأول إشارة إليها نجدها حينما اجتاز إبراهيم عليه السلام أرض الكنعانيين فظهر له الرب وقال له: (لِنَسْلِك أُعطي هذه الأرض) [تكوين 12/7]

ونلاحظ هنا أمرين:

الأول: أن الوارث نسل إبراهيم دون الإشارة إلى إسحاق أو إسماعيل.

الثاني: أن الأرض هنا ذكرت بصفة عامة دون تحديد للمساحة. ولكن ظروف توثيق النص وتدخل كثير من الكُتَّاب والرواة وتطاول الزمن هي التي جعلت كتاب التوراة يحوزون هذه الأرض وفقاً لما تمليه الظروف المتاحة، فإذا كان الكاتب محاطاً بعوامل ضاغطة اكتفى بإثبات الحق فقط ولو بجزء قليل، وإذا ما أحس غيره بضعف جيران الأرض أو مالكيها وسع من حدودها.

وهذه إشارات للتلاعب بالنصوص:

1 ـ في التكوين 13/ 13 ـ 18 تحدد الأرض بأنها مد البصر في جميع الاتجاهات وأنها لنسل إبراهيم الذي سيكون كتراب الأرض كثرة.

2 ـ في التكوين 15/ 18 في ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقاً قائلاً: لنَسْلِك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات)؛ وهذه المساحة أكثر من مد البصر بكل تأكيد.

3 ـ في الإصحاح 26 من السفر نفسه ينقل كُتّاب التوراة العهد من ذرية إبراهيم كما وردت في النصوص السابقة إلى إسحاق ونسله قائلاً له: (وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك) ولا بأس من أن يغير الله قسمه لصالح بني إسحاق!

4 ـ وتعمد الكاتب التجهيل بالحدود (جميع هذه البلاد) اشتعلت فتنة عائلية داخل بيت إسحاق بين عيسو الولد الأكبر ويعقوب، وانضمت الأم إلى الولد الأصغر ودبرت حيلة ليأخذ بها يعقوب بركة إسحاق الذي كف بصره من أخيه صاحب الحق.

انظر سفر التكوين الإصحاح 27/ 1 ـ 46.

5 ـ وحينما بدأ كُتّاب التوراة في نقل ملكية الأرض من بني عيسو إلى بني يعقوب بدؤوا يمسون المسألة بحذر شديد لأن الأحقية مبنية على بركة مسروقة من صاحب حق لا زال حياً وأمهما واحدة.

وقال الرب ليعقوب: (أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق والأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك) [تكوين 28/ 13 ـ 15].

فالكتاب يجرب في إثبات الحق ـ موضع الاضطجاع ـ أما المساحة فتترك للزمن المناسب.

6 ـ يأتي الزمن المناسب ويعيد كُتّاب التوراة العهد مع يعقوب (الأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها، ولنسلك من بعدك أعطي الأرض). [تكوين 35/ 12].

ففي الزمن المناسب عمم الكاتب المسألة وجعل أي أرض أعطاها الرب لإبراهيم أو إسحاق هي ليعقوب ونسله.

7 ـ وتأتي ظروف أكثر مناسبة لوضع حدود أكثر مرونة قابلة للادعاء بأن المساحة أكثر مما يعترف به.

ففى آخر أيام موسى عليه السلام (أراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان وجميع نفتالي، وأرض أفرايم ومنسى وجميع أرض يهودا إلى البحر الغربي والجنوب، والدائرة بقعة أريحا مدينة النخيل إلى صوغر، وقال له الرب هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها) [سفر التثنية 34/ 1 ـ 5].

ح ـ يرى الباحث: (في ص 16)

أن استخراج البشارة به ﷺ من كتب غير المسلمين أمر تكون الحجة به أكثر إلزاماً لهم، بغض النظر عنْ كون هذه الكتب قد حرفت، فالتحريف لم يشملها كلها، وإلا لما استشهد رسول الله ﷺ بالتوراة ـ مع علمه بتحريفها ـ في واقعة زانية أهل الكتاب)

وهذه الفقرة تشير إلى أمرين:

الأول: إلزامهم بالحجة من كتبهم.

الثاني: أن التحريف لم يشملها كلها.

ولننظر في الأمرين:

أما الأول فهو أصل لن يتحقق لأن ما سيقيمه هذا المؤتمر من حجج إمّا أن تكون حججاً مظنونة وقد سبق لعلمائهم أن فسروها بما يتفق وأهواءهم، وإمّا أن تكون متعلقةً بحجج حرفها كُتّاب أسفارهم خلال العصور ولهذا فلن يعترف أحد بوجودها. والدليل على ذلك قوله تعالى:

﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك، وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين﴾ [145 البقرة].

وقوله تعالى: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**﴾ [البقرة 146].

وإنني أذكر بما كتبه القس إبراهيم لوقا حول محمد ﷺ في الكتاب المقدس[3] ليرى الباحث قيمة التعلق بهذا المشروع.

وعلى الرغم من الأسلوب العلمي الذي كتب به البروفسور عبد الأحد داود التفسير الصحيح (للبارقليط) الواردة في الكتاب المقدس (إنجيل يوحنا) 16/14 اعتماداً على دراسات لغوية معمقة[4] وانتهى بها إلى البشارة بمحمد فإن معجم اللاهوت الكتابي يرى أن تفسيرها بالمعنى تفسير خاطىء كما يرى عبد الأحد داود.

ولكنه يفسرها بالمحامي أو الشفيع ويراد به يسوع أو الروح القدس الذي يحقق حضور يسوع فعلياً من حيث هو الشاهد أو المدافع عنه بين المؤمنين[5].

ويأتي الدكتور منير خوام ليضع كتاباً باسم (المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية) ويلاحظ أنه من أوسع رجال الدين المسيحي المعاصرين إطلاعاً على الفكر الإسلامي.

ويصنف كل من يكتب بتجرد من وجهة نظرنا نحن المسلمين من الكتاب المسيحيين بأنهم (من الملاحدة أو اللامبالين بالدين أو من البروتستانتيين أو من الكهنة والعلمانيين الجاحدين الذين دخلوا الإسلام، كما أنهم - يعني المسلمين - يستشهدون بالكتاب المسيحيين الذين مدحوا محمداً أو الدين الإسلامي[6].

وقد عد في الهامش كثيراً من الكتاب الذين نطقوا بكلمة الحق كما نراها

---

(3) المسيحية في الكتاب المقدس ص 61 وما بعدها الطبعة العربية في THE GOOD WAY RIKON\ SWITZERLAND.

(4) انظر محمد في الكتاب المقدس ترجمة فهمي شما/ ص 207 وما بعدها ط 1/ 1405 هـ رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر.

(5) ص 142 ط دار المشرق بيروت 1986 م.

(6) ص 32 وما بعدها ط مؤسسة خليفة للطباعة بيروت 1/ 1983 م.

ومن جملة هؤلاء عبد الأحد داود.

كما أن البشارات التي يسعى الباحث إلى نشرها وتأكيد شيوعها بين الناس قد سبق علماء اليهود والنصارى إلى تفسيرها بما يتفق ومعتقداتهم.

ومن ذلك ما توصل إليه الباحث من البشارة بإسماعيل عليه السلام فقد شرحها فرانك جيبلين ضمن مباركة إبراهيم بأن المقصود منها عيسى عليه السلام[7].

فهل نتصور محو التراث الديني لدى أهل الكتاب لنقنعهم بفهمنا؟!.

أما الثاني:

وهو قوله إن التحريف لم يشملها كلها ـ فإنني أذكر الباحث بالآتي ـ:

1 ـ أنه اعترف بتحريفهم المستمر كما ذكر في (ص 13 و 25) كما سبق. ومن المتفق عليه في ثقافتنا الإسلامية أن الدليل إذا لحقه الاحتمال بطل به الاستدلال.

2 ـ سبق أن رأينا نماذج من التصور الوثني في أسفار التوراة، كما أن العهد القديم مليء بتوبيخ اليهود على اتباعهم لآلهة وثنية ومنها عبادتهم للحية التي صنعها لهم موسى حينما كثرت عليهم الحيات في برية سيناء.

3 ـ أنَّ التحريف تعلق بإنكار البركة لإسماعيل وذريته بدليل إنكار حقه في إرث الأرض كما سبق أن رأينا.

4 ـ أننا لا ننكر أن بعض الوصايا والأحكام التشريعية هي مما بقي من شريعة موسى عليه السلام وكمثال على هذا سفر الخروج 20/ 12 ـ 18 و 23 و 23/ 1 ـ 10.

والمحرمات من النساء انظر اللاويين 18/ 6 ـ 18 إلى غير ذلك.

وأحسب أن عدم تبديلهم لنصوص التشريعات الواردة في شكل قوانين كانت قد أصبحت صورة من المتعارف عليه في رسم العلاقة بين الأفراد وعلى

(7) استكشاف كتاب الكتب ص 98 وما بعدها.

الأخص الأمور المتعلقة بالعرض، فالباقي من التعاليم المحتملة للصحة هي بعض الوصايا والتشريعات التي أخذت مأخذ العادة.

5 ـ والحديث الذي تمسك به الباحث هو حادثة حال، ذلك أن اليهود أرادوا أن يحتكموا إلى النبي ﷺ هروباً من تطبيق شريعتهم، وحينما سألهم عنها قالوا له نحممهما ثم نجلدهما، والرسول أراد أن يطبق عليهما الرجم وفقاً لنص شريعتهما لأن ذلك أقسى من حيث العقوبة وأفحم من حيث الحجة[8].

ولا توجد في الحديث إشارة من بعيد ولا من قريب إلى الحكم بصحة هذا الحد حتى يقال إنه استشهد بالتوراة.

إنهم يصرون على البقاء على دينهم ويخفون أحكامه ويتعللون بتقليد حكم السلطة القائمة، ولكن الرسول ﷺ علم بحيلتهم بوحي من الله أو بتذكير ممن أسلم منهم كعبد الله بن سلام، فعاملهم بنقيض مقصودهم؛

لذلك: أرى أن عبارة الباحث غير لائقة في حق رسول الله ﷺ، ولا تعبر عن فهم سليم للحديث.

الرسول يعلمنا:

قال الله تعالى: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾** [الأحزاب 21]، ونحن في هذا الموضوع لا نعالج أمراً جدت به الحياة المتغيرة المتطورة وإنما نبحث موضوعاً قديماً عاش مع الدعوة الإسلامية زمن الرسول ﷺ وصحابته الأخيار، فماذا كان موقف الرسول من كتب السابقين وبماذا زودنا؟.

1 ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (لا

---

(8) انظر فتح الباري/ 8/ 224 الحديث 4556 ط دار الفكر. وسنن أبي داود/ 4/ 153 الحديث رقم 4446 ط دار أحياء السنة.

وانظر شرح الزرقاني على الموطأ/ 5/ 80 بتحقيق إبراهيم عطوة عوض ط مصطفى الحلبي ط 1/ 1962 م.

تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل. .) الآية[9].

2 ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة فقال: يا رسول الله هذه نسخة من التوراة؛ فسكت، فجعل يقرأ، ووجه رسول الله ﷺ يتغير، فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل، ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟.

فنظر عمر في وجه رسول الله ﷺ فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب الرسول، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً؛ فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني)[10].

3 ـ وعن جابر أيضاً أن عمر بن الخطاب أتى بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ ـ يعني أمتحيرون أنتم في الإسلام؟ ـ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)[11].

ويقول الإمام ابن تيمية متابعاً التعليق على هذا الحديث (ولهذا كان الصحابة ينهون عن اتباع كتب غير القرآن. وعمر انتفع بهذا حتى إنه لما فتحت الإسكندرية وجدت فيها كتب كثيرة من كتب الروم، فكتبوا فيها إلى عمر فأمر بها أن تحرق، وقال: حسبنا كتاب الله) وساق الإمام أيضاً معاقبة عمر بن الخطاب للذي انتسخ كتاب دانيال وقال له: (اذهب فامحه بالحميم والصوف الأبيض، ولا تقرأه ولا تقرئه أحداً من الناس[12].

---

(9) فتح الباري 8/ 170 الحديث 4485.

(10) انظر سنن الدارمي حـ 1 ص 115 وما بعدها ط دار الكتب العلمية.

(11) مسند الإمام أحمد بن حنبل/ 3/ 387 ط المكتب الإسلامي ودار صادر/ بيروت.

(12) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية المجلد 17 ص 41 ط مكتبة المعارف بالرباط على نفقة الملك خالد. رحمه الله.

منهج يثير جدلاً:

سبقت الإشارة إلى أن الباحث يستهدف مخاطبة غير المسلمين بهذا المؤتمر المقترح وما ينتج عنه من أبحاث ونتائج وتوصيات.

ومن أجل ذلك نحب أن يكون منهجه بعيداً عن المآخذ وجوانب الضعف.

أما نحن المسلمين فلا حاجة لنا بهذه الكتب وبشاراتها لأننا لا نتوقع مناجم الذهب وسط أكوام التبن.

ومن المآخذ التي لاحظتها على الباحث مايلي:

أن الباحث وجه الدارسين إلى تصحيحات وترجمات وفهم لنصوص الكتاب المقدس تخالف الترجمات المعتمدة لدى اليهود والنصارى.

ومحاورة أهل الكتاب بهذه النصوص لا تقنعهم ولا تكون حجة عليهم.

لذلك أعتقد أن ما أضافه تحت عنوان (بعض فقرات النص كما وردت في كتابات بعض علماء المسلمين) غير مجد في مجال المحاورة والجدل.

وكمثال على ذلك ما ذكره في ص 36 وما بعدها حيث استشهد بسفر التكوين 16/ 1 ـ 12.

واحتوى النص على الفقرات التالية:

أ ـ النص يقول عن إسماعيل: (إنه يكون إنساناً وحشياً) وينقل عن ابن تيمية قوله: (وولدك يكون وحي الناس).

ب ـ النص يقول: (يده على كل واحد ويد كل واحد عليه) وينقل عن ابن القيم: (وتكون يده على الكل ويد الكل مبسوطة إليه بالخضوع).

د ـ النص يقول: (وأمام جميع إخوته يسكن) وينقل عن تفسير الرازي: (وهو يشكر على رغم جميع إخوته).

هـ ـ ذكر تصحيحاً آخر للفقرة (أ) السابقة (وهو يكون إنساناً وحشياً) وهذا التصحيح ترجمة من البرهانالصريح لأحمد أفندي الترجمان، بأن وحشياً

صحتها برياً، وإن هذه الكلمة تأتي بمعنى (مثمر) ورأى المعنى الأخير ملزماً.

وحينما أجمل النقاط التي ينبني عيها البحث المنتظر سأل عن التحريف الذي دخل النص وأين موضعه؟.

بالإضافة إلى الأسئلة التالية:

ـ ما معنى إنساناً وحشياً؟.

ـ ما معنى يده على كل واحد، ويد كل واحدٍ عليه؟ والمدهش حقاً هو أن الباحث نسي أنه يتعامل مع باحثين وعلماء، وتحول إلى مدرس في مدرسة ابتدائية!.

وأنا لا أشك في أن بعض الباحثين سيسيرون خلف ما ذكره علماء السلف الذين لم يبينوا لنا الترجمة التي نقلوا منها حتى نثبت لأهل الكتاب أنهم مستمرون في التحريف، والقس إبراهيم لوقا في كتابه المشار إليه سابقاً يتحدى بأدلة قوية مؤكداً أن التحريف اللفظي لم يحصل بعد عهد المسيح، وإذا عجزنا عن إثبات تحريفهم للنص فسيثبتون التحريف فعلاً ولكن بأيدي المسلمين!.

2 ـ ذكر الباحث فهم العلماء المسلمين للنص وعدّه فهماً ملزماً على الرغم من أنه ناتج عن تعديل ابن القيم وليس ناتجاً عن النص المعتمد لديهم حيث قال: (إن هذه البشارة تحققت ببعثة محمد ﷺ، لأن إسماعيل وولده لم يكونوا متصرفين في معظم الدنيا حيث فتح المسلمون المشارق والمغارب، ودانت لهم الأمم بالطاعة).

أقول:

وهذا يستقيم إذا سلم لنا الخصم أن النص في التوراة هو: (وتكون يده مبسوطة على الكل ويد الكل مبسوطة إليه بالخضوع) وليس ما يقرأ في كتابهم الآن.

وأورد الباحث على هذا النص شبهة أوردها أهل الكتاب فقال:

(ذهب أهل الكتاب في تفسير البشارة إلى القول أنها بشارة بملكه ﷺ وظهوره وليس بنبوته).

والذي يؤخذ عليه أنه أهمل النص على المصدر الذي نقل منه هذا الاعتراض حتى نعرف أنهم سلموا بأن المراد بها محمد ولو بوصفه ملكاً، ومسألة النبوة نبحثها حتى في موقف آخر.

لأن الذي عرفناه فعلاً هو تفسير فرانك جيبلين لها بأن المراد بها هو السيد المسيح عليه السلام كما سبق. ولا داعي للوقوف مع ترجمات أسلافنا رحمهم الله لأنها لن تكون مقبولة من خصم لا يؤمن بها.

وإذا نظرنا لنص سفر التكوين الذي استدل الباحث به نظرة محايدة، آخذين في الحسبان أنه من وضع إنسان يصور انعكاس العلاقة بين بني العلات من جهة، ونتيجة ما يمليه التصارع الديني والعرقي من جهة ثانية، لفهمنا أن هذه الكلمات لها دلالتها المقصودة ولا فائدة ولا داعي لتلك الإضافات والتحويرات الواردة في نصوص أسلافنا.

فكاتب السفر يقول: إن إسماعيل ـ عليه السلام ـ إنسان بدوي جاف، فيه شدة وغلظة، دائم الصراع والتنازع، لا يقبل دخيلاً معه، ولا يقبله الآخرون.

وسكناه أمام إخوته، يمكن تصورها بمعرفة الواقع فعلاً حيث كان بمكة وما حولها، وبنو إسحاق في جزء من فلسطين.

3 ـ في البشارة الرابعة ص 51 وما بعدها.

يذكر الباحث أن الذبيح هو إسماعيل بنص القرآن، ويسوق هذه المسألة في يقين لا لبس فيه.

ولأن هذا الكتاب هو دليل للباحثين فكان ينبغي التزام الدقة والأمانة العلمية، وإعطاء المعلومة ما تستحق دون تهويل ومبالغة، ولا بأس بعد ذلك من ترجيح ما يؤمن به الباحث.

والمسألة من القضايا الخلافية منذ زمن الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين.

فقد ذهب عمر، وعلي، والعباس، وابن مسعود، وكعب الأحبار،

وقتادة، وسعيد بن جبير، ومسروق، وعكرمة والزهري، والسدي، ومقاتل إلى أن الذبيح إسحاق.

وذهب ابن عباس، وابن عمر، وسعيد بن المسيب، والحسن، والشعبي، ومجاهد، والكلبي إلى أن الذبيح إسماعيل[13].

وقد سبق لي أن كتبت بحثاً عن إبراهيم الخليل أثبتت فيه أن الذبيح إسماعيل، ولكن الترجيح شيء، وإغفال الرأي المقابل شيء آخر[14].

4 ـ من المعلوم المتفق عليه عند المسلمين وغيرهم أن نصوص العهدين القديم والجديد ليست هي النص الحرفي الموحى به من الله سبحانه وتعالى حتى بالنسبة لأكثر الناس إيماناً بصحتها.

فالمقروء بأيدي الناس هو رواية أتباع موسى وعيسى في عصور مختلفة متباعدة، فضلاً عن أن هذين الكتابين قد تنقلا بين العبرية والآرامية والسريانية واليونانية وأخيراً نقرأهما بالعربية. ويصعب التأكد الجازم من عدد الترجمات التي مرت بين النص العربي ونص الراوي الأول.

وهذا يجعلنا نستبعد مثل سؤال الباحث: لماذا قال عن إسحاق إنه سيكثر نسله وعن إسماعيل إنه سيكون أمة؟.

إن السؤال مهم لو كان نص العبارة من وحي الله سبحانه وتعالى، أما بعد الترجمة فلا معنى للبحث عن سر التعبير واستنتاج الأحكام من النظم البلاغي.

النتائج المتوقعة من هذا المؤتمر:

نحن المسلمين نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا في القرآن الكريم بأن

---

(13) انظر العبر لابن خلدون حـ 2 ص 28 ط مؤسسة جمال بيروت 1979 م وتاريخ الطبري حـ 1ص 135 ط مؤسسة عز الدين بيروت 1985 م، وتفسير الفخر الرازي حـ 7 ص 105 ط المطبعة الخيرية مصر 1308 هـ.

(14) مجلة كلية الدعوة الإسلامية السنة 3/ 1986 ص 514.

عيسى عليه السلام قد بشر بمجيء محمد، قال تعالى: ﴿**وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين**﴾ [الصف 6].

ونحن مؤمنون بصدق هذا سواء وجدنا ذلك صريحاً في كتب اليهود والنصارى أم لم نجده، وسواء وافقونا على النصوص المحتملة (كالبرقليط) والفقرات الواردة في (سفر التثنية 18/ 15 ـ 20). أم لم يوافقوا، لأننا نعلم أيضاً أنهم بدلوا وغيروا في كتب الله.

وطرح هذا الموضوع للبحث سينتج عنه أحد احتمالات ثلاثة لا محالة وكل واحد منها له محاذيره.

الأول:

الالتزام بالترجمات المعتمدة عندهم فعلاً، التي يعترفون بأنها تعبير عن نسخ محتفظ بوضعها التشريعي والقانوني وليست من قبيل النسخ التي أنكرتها مؤتمراتهم الكنسية كإنجيل برنابا، وإنجيل بولس.

وهنا سيرفض النصارى بعض التفسيرات التي نتعلق بها وسترتفع أصوات مسلمة تؤكد أن هذه الكتب محرفة وأنها نصوص غير صحيحة.

وإذا ما تولت هيئة إسلامية كرابطة العالم الإسلامي في مؤتمر دولي التشهير بأن الكتب المقدسة محرفة فقد سقط جلباب الحياء ولن يتناول المستشرقون والمبشرون الطعن في القرآن الكريم بشيء من الحياء والمحافظة على مشاعر المسلمين محافظة على مصالحهم السياسية والاقتصادية كما هو واقع اليوم.

وقد وقع تحت يدي كتاب من سلسلة الهداية العدد الرابع باسم تعليقات على القرآن.

ويقول الناشرون في المقدمة أن هذه السلسلة جاءت رد فعل على كتابي: إظهار الحق، والسيف الحميدي الصقيل).

وهذا الكتاب فيه إساءات، وسوء أدب، وتهجم على القرآن الكريم

تجعل المسلم لا يحتمل مجرد قراءة ما جاء فيه، فإذا أضفنا إلى ما فيه من مغالطات ضعف أبنائنا في اللغة العربية وبعدهم عن الثقافة الإسلامية الصحيحة أدركنا خطورة هذه الكتب على النشء المسلم.

ولكن ظروف العصر جعلت هذا الكتاب مجهول المؤلف والناشر، والإشارة إلى صندوق البريد في أستراليا على الكتاب أحسب أنها تمويه غير صحيح.

وعدم ذكر اسم المؤلف والناشر يثير الشك في نفس القارىء، فلو كان ما فيه صحيحاً لما تنكر له مؤلفه. أما إذا فتحنا ملف قضية البحث في صحة هذه الكتب وأرجعناها للمرافعة من جديد فإننا سنفتح باباً من المهاترات التي نهانا الله عنها.

قال الله تعالى: **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم، كذلك زينا لكل أمة عملهم، ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾**[الأنعام: 108].

إننا نكلف الأشياء ضد طباعها إذا كنا نظن بأننا سنقول لليهود والنصارى إنّ كتابكم قد بدل وغير، وإنّ كتابنا هو النص الوحيد الصحيح فاتبعوه، وأن هذه الدعوة ستكون لها استجابة، لأن المسألة قد حسمها القرآن الكريم وأن الله قد زين لكل أمة عملها ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة.

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (قال رسول الله ﷺ: إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله: وكيف يلعن الرجل والديه؟.. قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه).

قال ابن بطال: «هذا الحديث أصل في سد الذرائع، ويؤخذ منه أن من آل فعله إلى محرم يحرم عليه ذلك الفعل وإن لم يقصده ولم يقصد إلى ما يحرم»[15].

---

(15) انظر فتح الباري/10/ 304 وما بعدها الحديث رقم 3795، وعارضة الأحوذي/8/97 ط دار الفكر.

الثاني:

البحث في متاحف العالم والمكتبات العامة والخاصة وصولاً إلى نص سليم لم يلحقه تحريف ولا إضافة بشرية، لأن ما ذكر في أسفار موسى من ذكر وفاته وموضع دفنه، وما ذكر في الأناجيل من ذكر صلب المسيح ودفنه وقيامته من قبره مسائل يستحيل أن تكون مما أنزله الله على الرسولين العظيمين، وأن هذا إضافات بشرية[16].

لو فعلنا هذا فلن نجد أحداً من اليهود والنصارى يستمع إلينا لأن اعتماد النصوص الدينية عندهم لا يتم إلا من مؤتمرات كنسية، ولذلك فهم يرفضون إنجيل برنابا وإنجيل بولس، ومحاولة إقناعهم بما أشار إليه ابن تيمية لن يقبل أيضاً لأن شيئاً من هذا تعرض له علماء عصر الإصلاح الديني في أثناء حركة مارتن لوثر وكالفن حيث قالوا إن قول التوراة: (فمات هناك موسى عبد الرّب في أرض مؤاب حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم) [سفر التثنية 34/5 ـ 6].

قالوا أن هذا النص يستحيل أن يكون مما كتب في عهد موسى أو حتى في عهد قريب منه. وهذا يؤكد أن العمل البشري استمر في التوراة زمناً طويلاً.

وعلى الرغم من وجاهة هذا الاعتراض فهل سلم به رجال الكنيسة المسيحية؟.

يقول ناشر سلسلة الهداية المشار إليها سابقاً: (ومن المؤسف أن هذه الهجومات نشأت بين بعض علماء الكتاب المقدس المنحرفين عن الحق في أوائل القرن التاسع عشر، وأطلقوا عليها اسم النقد العالي والنقد المنخفض، وقد رد رجال الدين المحافظين على هذه الكتابات، وفندوها، وأظهروا خطأها، ولم تعد تحظ بالاحترام في يومنا هذا).

---

(16) من أروع ما كتب في هذا الموضوع الفصل الذي كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر الفتاوى الكبرى جـ 13 ص 102 وما بعدها.

ولكن رجال الدين المسلمين لا زالوا يقتبسونها كأنها صحيحة، ولا زال بعض أساتذة الجامعات العربية في كليات الأداب يدرسونها دون أن يتيحوا لتلاميذهم فرصة الاطلاع على الردود التي تفندها)[17].

وكانت النتيجة نقداً للقرن المشار إليه.

الاحتمال الثالث:

أن يسلموا لنا بالتفسير والتأويل في النسخ المعتمدة لديهم بأن المراد (بمباركة نسل إبراهيم، وأن البرقليط) مراد بهما محمد ولكنهم سيطالبوننا بأن نعترف بما جاء في الكتابين لأن الحجة لا تتجزأ فلا يقال لهم آمنوا بفهمنا لهذه الفقرة لأنها تخدم عقيدتنا وكتابكم صحيح بالنسبة لها، بينما نحن نكفر بباقيه لأنه لا يناسبنا!.

إن جرينا وراء بشارة في نص مشكوك فيه، بل مقطوع بتحريفه ستجعلنا نبتلع السنارة مع الطعم الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾** [العنكبوت: 51].

وماذا بعد:

وإذا كان ما سقته من تخوف قابلاً للنقاش فإن الأخطر منه هو المشار إليه في ص 18 من البحث في كتب الهندوس وص 411 عن كتب البراهمة والزراد شتيين.

ولا يظن ظان أنني أدعى علماً وفطنة أكثر من العقاد وأبي زهرة وغيرهما ممن ذكروا في الصفحة نفسها، ولا كان يزعجني أن يكتب الأستاذ الباحث كتاباً فيه رأيه الخاص، واجتهاده ولكنني أنبه إلى أن الفرق واضح بين اجتهاد شخص مهما كانت منزلته في العلم ومكانته في المجتمع، وبين مؤتمر قد يعقد في أشرف بقعة في الأرض وهي مكة المكرمة، ويحضره علماء من شتى بلدان

(17) المقدمة ص 3.

العالم الإسلامي وما يمكن أن يصدروه في هذا المؤتمر من قرارات وتوصيات تُعدُّ من قبيل الإجماع، وسيكون لها عند المسلمين قيمة واعتبار.

إن هذه الكتب وهذه المعتقدات كما أشار الباحث يحتمل أن تكون أصولها عقائد موحى بها من عند الله ولم يقصص علينا الله أمرها ويحتمل غير ذلك.

ولكن فتح الباب لوجود بشارة ولو لم يخبرنا القرآن بها، والتوسع في التقاطها لمجرد أن جذرها اللغوي يحمل معنى الحمد فالمراد أحمد، وأحمد هو محمد، إذن البشارة حاصلة، وإعلانها إلزام لأصحاب تلك العقائد بالتصديق بمحمد ولكنها بالتالي تعني الاعتراف بأن هذه الكتب منزلة من عند الله وأتباعها أهل كتاب، وبذلك يرفع الحظر الذي كان قائماً في مسألتي الزواج والطعام على الأقل.

وإن الحصول على هذا المكسب لصالح الوثنيين في آسيا وأفريقيا المتطلعين إلى خيرات الخليج والجزيرة العربية سيجعل عشرات البشارات تظهر لإشباع شهوة المسلمين وتحقيق مآرب الطامعين من هنا وهناك.

وأخشى ما أخشاه أن ينقلب هذا المؤتمر إلى ما يشبه مؤتمرات الكنائس التي تقرر الحلال والحرام وفقاً لمتطلبات بشرية عابرة.

إنني أضع هذه الخواطر بين يدي القائمين على هذا المشروع الخطير، عسى أن يكون في بعضها ما يستحق التأمل.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.